

## بطاقة تعريف لشاعر مغربي شاب!

وهي تنعكس بالضرورة على كتاباتهم غير الملمة . فان لهم كتابات لم ينشروها ولم يدبوعها ، وانما يخبئونها ويختزنونها في ادمغتهم هم وحدهم .

ازاء هذه المالبسات وتلك الاوضاع تبقى كل محاولة مماثلة لتجربتنا هذه لا تعدو كونها اطلالة من بعيد على مشارف ادب يناضل في ارضه ، ويلبب دورا في حياة شعبه ، ويعايش قضاياها ، ويصور الامه ويجسد مشاكله ، ويستشرف الطريق القويم لمستقبله .

والشاعر الشاب الذي نريد ان نقدمه الى القراء هو «محمد بنيس» الذي اصدر ثلاثة دواوين حتى الان ، اولها : « ما قبل الكلام » ١٩٦٩ ، وثانيها « شيء عن الاضطهاد والفرح » ١٩٧٢ ، وثالثها « وجه متوهج عبر امتداد الزمن » ١٩٧٤ . الى جانب قصائد متنوعة نشرت لها بعض المجلات العربية . ثم اخيرا اصدر مجلة جديدة تحمل رؤية الشباب المغربي المنقف الجديد ، ومحاولته الجاهدة في التعبير عن نفسه ، ومشاكل مجتمعه ، ووجوده ، وحرركه ، من خلال تصوير « الثقافة الجديدة » تمييزا لها عن غيرها من المجلات الرسمية التقليدية . (١) بالاضافة الى انه يعد اطروحته للحصول على درجة الماجستير في موضوع : « التجربة الشعرية المعاصرة في المغرب - من البدايات الى الامتداد » .

ولا يقف « محمد بنيس » وحده -كشاعر- يبذل الجهد في محاولة تعرية واقع بلاده ، وتحديد مخطيائه في مختلف الميادين والاتجاهات ، وانما يعتبر جزءا من كل ، وواحدا من جماعة كبرى ، ضمت وتضم : مصطفى المداوي الذي توفي وهو في الرابعة والعشرين من عمره ، بعد ان قدم في ميدان الشعر والنضال نموذجا يعتبر - في نظرنا - التجربة الرائدة في هذين الميدانين . والفرقاني محمد الحبيب . ومحمد بن دفعة . واحمد الجاطي . واحمد صبري . واحمد المداوي . احمد

تظل كل محاولة للتعرف على ملامح الحياة الادبية والفنية في المغرب الاقصى ، محفوفة بكثير من جوانب القصور ، ولا يمكن ان ينظر اليها الا في اطار كونها قراءة في بطاقة تعريف محدودة الهدف ، محدودة المعلومات ، بشكل لا يتيح لقارئها ان يستكشف الاعماق ، ويستنبط ما وراء الظواهر ، ويترك الابعاد الحقيقية وراء تلك البيانات

ونحن في المشرق اكثر ما نكون حاجة الى مثل هذه البطاقات التي يجهلها اكثرنا : ادباء ونقاد وفناني وقراء . وبمدها طبعاً ، وليس قبلها ابداً ، يصبح لزاما على من قام بدور التعريف : ان يعمل فكره النقدي ، وقلمه التحليلي ، مستندا الى رؤية واعية لامكانيات من تصدى لهم ، واحاطه تامة بمالبسات انتاجهم ، عم يكون قد اطمان الى ان قارده - في المشرق - مهياً فكريا وثقافيا ، لتقبل وجهات نظر مختلفة ، وآراء متباينة ، حول ادباء وانتاج له بهم وبه دراية ، ولديه عنهم وعنه سابق معرفة . وهنا يكون النقد والتحليل والحكم منطقيا ومقبولا . اما حين يبدأ الناقد باستعراض عضلاته النقدية ، وفرش تعقيده المستوردة ، وحشر معلوماته المترجمة ، مطبقة على انتاج وانباء يحتاج القاريء اولا الى ان يسمع بهم ، ويفهم ظروفهم ، بل وان يحدد موطنهم الجغرافي ، فان المسألة - عندئذ - تصبح في حاجة الى اعادة نظر . اذ الامر هنا مختلف تماما عن تناولنا النقدي لامثال طه حسين او الحكيم او نجيب محفوظ او يوسف ادريس او غيرهم ممن لم يعد القاريء العربي معهم يشعر بانه مشتاق الى مزيد من الدراسات حولهم .

كذلك فان اختيار ادباء بيئة لم يعايشها الكاتب معايشة كاملة من شأنه ان يؤكد ما سبق . وهو امر طبيعي بالنسبة لانسان يعيش بعيدا عن المغرب ، مما قد لا يتيح له فرصة الاتصال بالكتاب ، ودقة المتابعة ، وسهولة تجميع الانتاج او حتى الاطلاع عليه كله : ان في المكتبات العامة او في دور الصحف ، او في بيوت اصحابه ، او جيوبهم الخاصة ، نظرا لما تتعرض له منازل البعض من تهجم وتفتيش ، فضلا عن معرفة الاتجاهات الحقيقية للكتاب ، وادراك ابعادهم الاجتماعية والنفسية والفكرية والعقدية .

يضاف الى هذا ان الادب المغربي المعاصر يمر بظروف جد صعبة : سياسيا واجتماعيا ونضاليا ، جعلت الادباء يعانقون الوانا من العذاب ، بعضها فكري ، وبعضها نفسي حاد ، واخطرها جسدي ، وكلها نتاج اوضاع لها خطورتها وحساسيتها في الوقت الراهن .

(١) مجلة فكرية ابداعية . مجلة كل المثقفين التقدميين المغاربة . من اجل المساهمة في خلق فكر مستقبلي دافع للتاريخ نحو الامام .. تتجه نحو البحث الجماعي عن الحقيقة .. وتمتد المنهج العلمي .. منطلقة من واقع ثقافي مازوم .

نضال الجماهير صانعة الاستقلال . وكان انعكاس ذلك على الواقع الاجتماعي والاقتصادي والثقافي اسوأ بكثير مما قد يتبادر الى الذهن وقد اراد الشاعر الشاب محمد بنيس ان يكشف عن هذا الواقع المنهار الذي يقود الى السقوط الحتمي . وان يركز تسليط اضاءته على بعد جديد في حياة الشعب المعاصرة ، يتمثل في محاصرة الافراد . وفي الرقابة المشددة على المثقفين . وفي مصادرة الاحلام والتطلعات والافكار . وكنتيجة للاحاساس الحاد بشغل التبعية وعبء المسؤولية ، لم يتخلف محمد بنيس عن تقديم شهادته ، كوثيقة ادانة ضد القمع الذي يتصخم يوميا في اطار سياسي لا ديمقراطي .

لا اكتب شعرا او نثرا  
 (( لا اكتب ما يبقى محفوظا في المتحف  
 يكفيني ان يرمني من فجر  
 مثلي  
 في الساحة  
 مثلي  
 في الواحة  
 وليسمح لي نقاد الشعر  
 وهواة النثر  
 يكفيني اليوم  
 عشاق الجنة والنار  
 والفرح المسفوح على شباك الدر  
 هذا تقرير عام  
 او منشور خاص بالمرطودين  
 من قاعات التكبير  
 والتصغير  
 من حمى الجبناء )) (1)

ومما يحمد لهذا الشاعر الشاب انه اتخذ موقفا جادا وجريئا من شعره الذي كان قد كتبه في بداية حياته الفنية ، وبالذات في ديوانه « ما قبل الكلام » ، معلنا رفضه لما فيه ، وكأنه لم يعد يناسب المرحلة التي يمر بها المغرب ، والتي تحتاج الى الشاعر الثوري الواقعي ، الصادق البسيط ، لا الشاعر الفانتازي ، او الانتهازي ، او الرومانسي . فكتب في صحيفة ( العلم ) مقالا بعنوان :

(( طلقت ما كتبت ! )) . وقد فطن الى ان الشعر لا يتغذى من الذاتية الحرة المفرطة ، اذا اريد ان يكون ناجحا ، كما يقول جورج لوكتاش . اذ ان نقطة انطلاقه هي الحياة نفسها . وان موجودات الواقع في اي مجتمع وفي اي عصر ، كانت وما تزال تشكل المادة الخام والينوع الثر ، الذي يستقي منه كل فنان مادته الفنية والفكرية اللازمة . لذا فان نجاح الفنان محكوم بمدى قدرته على وعي واستيعاب كل ما يفرزه الواقع الانساني خلال تفاعلاته الدائبة والمستمرة ، وبالتالي قدرته على التعبير عن معطيات ذلك الواقع تعبيراً فنيا صادقا ، تتحقق معه لحظة الانعكاس المطلوبة في كل عمل فني اصيل ، يتعد عن كل ابتذال او تشويه .

ويزداد تقديرنا لموقف هذا الشاب اذ عرفنا ان ديوانه الاول صدر 1969 ، وانه طلقه في اغسطس 1972 ، واضعين في اعتبارنا انه شاب لم تأخذه العزة بالنفس والتصميم من الذات الى طريق

ابن ميمون . عبدالكريم الطبال . مفدى احمد . حسن الطربق . هناوي احمد . محمد الشرة . فية الحمري . ن المياني ادريس . الطيب الرياحي . محمد القماص . محمد بن طحة . عبدالله راجع . حسن الفرقي . عبدالعلي الودغيري . بنيجي عبداللطيف . احمد الجوماري . ابراهيم السولامي . بشالم الدمناني . محمد السريغتي . ابراهيم الهلالي . محمد البحتوري . عبداللطيف زروال . محمد الخمار الكونوني مالكة العاصمي . رشيد العبيدي . ومجموعة الشعراء الذين يكتبون بالفرنسية ادبا ينسم بالثورية المنبثقة من شعورهم وتعبيرهم عن سخطهم وانفجار عواطفهم ، امثال الطاهر بن جلون ، وعبداللطيف اللبي والنسابوري ! ولعل كثرة عدد الشعراء في المغرب ترجع الى ادراك الشباب بخطورة الدور الذي يمكن ان تلعبه القصيدة الحديثة في التعبير عن الواقع المعاش ، اذ تعد بذلك المنظار الاكبر شفافية الذي يستطيع المرء ان يرى من خلاله جذور الواقع المتحرك للمجتمع المغربي في مستوياته المختلفة . ومن ثم تستكشف المعطيات الدقيقة للواقع النفسي والاجتماعي والسياسي والفكري للانسان المغربي ! ويجب الا ننسى ان المغاربة يطربون للموسيقى والانشاد . ولعلمهم بالوشحات الاندلسية والمغربية قديم . كذلك فان الصراع ضد القوى المؤيدة للفرنس ، كان يستدعي ان تكون اسلحة المرين قوية صارمة . ولقد كان الشعر العربي هو هذا السيف المصلت في وجههم . ثم ان المرين كانوا يتهمون المترنسين بانهم يتمسكون بلغة وحضارة لا علاقة لها باللغة والحضارة العربيتين . بينما الشعر العربي يستند الى تراث شعري اصيل ، والى بيئة عربية وحضارة عربية كانت لها سطوتها وامتداداتها القوية . وثمة سبب آخر ، ينبع من كون العلماء المغاربة والفقهاء وائمة المساجد ، لهم تأثيرهم اليومي على عامة الشعب ومتوسطي الثقافة ، وهؤلاء لا يخلو حديثهم من « الشعر » الوعظي الحكمي الارشادي . وهو ما يجعل الاذهان مهية دائما لسماع الشعر وقراءته . ولا يخفى ان الشعر يقرأ بسرعة ، ولا يستغرق وقتا ان اذيع بواسطة الذايع . كما ان القصيدة تعبير عن شعور مركز مكثف ، موجه الى القلب ليحدث تأثيرا مركزا وسريعا ، ومن ثم تكون الاستجابة الفورية .

ولا يحتاج الشاعر الشاب « محمد بنيس » الى لف ودوران ، كي يصوغ فكرته ، وليقول كلمته ، وليعلن موقفه من خلال بعض القصائد التي تؤكد شهادته التاريخية ازاء واقع فاسد ومناخ مسموم . وقد ضحى من اجل هذه الشهادة التاريخية بالكثير من خصائص الفن الشعري . فقد وضع الهدف نصب عينيه : ان يفضح المساويء ، ويعري الاوضاع ، ويكشف الزيف ، وان يسجل بهدوء مراحل التعذيب النفسي والبشري المسلط على الانسان المغربي ، منذ ان تكشفت له مظاهر الزيف والخداع التي تغلف واقع الحياة الزري الذي تميزت به فترة ما بعد الاستقلال . الواجحة . ان الامال العريضة التي كانت تختلج في نفوس الجماهير المغربية سرعان ما بدأت تنهار واحدا بعد الاخر ، بفعل ما حفلت به سنوات ما بعد الاستقلال من خيبة امل اخذت تطبع ، يوما بعد يوم ، كل مجالات الحياة المغربية اليومية للجماهير العريضة . وهكذا وجدت هذه الاخيرة نفسها تبتمد شيئا فشيئا عن المضمون الحقيقي للاستقلال الذي ناضلت من اجله ، فداء منها للحرية والسيادة ، وصونا للكرامة المغربية .

وبعدما تداعى حلم الديمقراطية السياسية والاجتماعية ، صودرت الحريات ، وفرضت رقابة صارمة على كل انواع التعبير ، وابعد الممثلون الحقيقيون للشعب عن ساحة الممارسة اليومية في حظيرة الدولة ، وتبعاً لذلك ابعدت قضايا الجماهير الاساسية المتعلقة باحوالها الخاصة والعامة ، لتحل محلها قضايا نانوية ، تنسم بطابع المصلحة الفردية . بمعنى ان الاستقلال اصبح ، في نظر الجماهير ، اسما بدون مسمى ، واطارا فارغا من اي محتوى ايجابي من شأنه ان يوازي

(1) من مقدمته للمعد الاول من مجلة « الثقافة الجديدة » - خريف 1974 .

وهو يبدأها في المقطع الأول على هذا النحو :

قررت في بداية الصباح  
وفي بداية الخريف  
وفي بداية الربيع والشتاء  
وفي بداية الحياة  
قررت ان اكتب في مشنقي وصية بسيطة  
قصيدة  
او صرخة من الدماء والصدى  
تنشدها معي السجون  
في لحظة او لحظتين  
نم اموت  
فوق جزيرتي البعيدة القريبة (1)

وهو يربط بين هذا القدر ، وبين هدفه من فنه وشعره وبين الثورة الدموية كأداة ضرورية وحتمية لتحقيق الغايات والأهداف بالنسبة للمجتمع كله ، وعلى قمته الفلاحون والعمال وابتاؤهم من المثقفين الثوريين الذين يرتبطون ارتباطا عضويا بمشاكل هذه الطبقات المفلوبة والمطحونة اجتماعيا واقتصاديا ، والمقهورة سياسيا وديمقراطيا ! ونراه في المقطعين الرابع والخامس ينادي معشوقته الحمراء ، التي يريد لاعلامها ان ترفرف ، بدلا من ان ترفرف اجنحة الظلم وعلامات الاضطهاد وتجاعيد الفضب على كل بيت ومبنى وشارع ، لا سبب يدعو الى الانتظار في نظره . فالقيب الراحل لا ينتظر ان يرحم شعبا مظلوما ، او يحمي امة من زمن الموت الموشوم . والجماهير لم تعد تأخذها سنة النسيان او تخفيها مشنقة الانسان الحاكم ، ففي صمتهم الممتد خيوط غاضبة ، وابصار حافدة تتساق اسوار النار ، حتى اصبح ملايين التمساء على الارض المغربية لا يحلمون الا احلاما حمراء .

حمراء  
يا ايها الخفاقة في اعراسي  
ايته المنشورة فوق حدودي  
يا حلمي  
حمراء  
تممو في صمت الانواء الفقراء  
توهج عبر اغاني الفلاحين  
وشعارات العمال  
اياما آتية  
عذراء (2)

ثم ينتقل الشاعر في المقطع السادس الى الحديث عن المناضلين النموذجيين الذين يربطون بين عقيدتهم وبين عملهم ، بين النظرية والتطبيق ، الفكر والواقع ، اولئك الذين ينضم اليهم امثال عبد اللطيف اللعبي الذي اهديت اليه القصيدة . ونرى الشاعر واقفيا الى ابعاد الحدود ، يصور حركتهم وتجمعهم وخطتهم ، وتضحياتهم من اجل الفير ، وكانما يريد ان يضرب للناس المثل بهم ، كمنهج يجب ان يحتذى في هذه الفترة بالغة الحساسية ، والتي تتطلب من كل ابن مخلص للمغرب ان يفعل ما يفعلون ، وان يضحي بمثل ما يضحون .

يرفض فيه « الواحد » و « المغائل » و « الفعل » ، واسما الذي حدث كان على العكس تماما : تحمل مسئوليته من نفسه بنفسه ، لانه التزم التزاما واقفيا بقضايا شعبه . فوقف من شعره ومن نفسه هذا الموقف الذي يذكرنا بموقف مماثل في الصين الشعبية يوم 14 ابريل 1966 ، مع بداية الثورة الثقافية الكبرى هناك ، حين صرح كاتب الصين الاول ورئيس اكااديمية العلوم الطبيعية ( كيومو - جو ) بان جميع ما كتبه جدير بان تلتهم النيران . ولئن دل هذا على شيء فانما يدل على ان شاعرنا الشاب قد ازداد وعيا بواقعه ، وادراكا للتناقضات المدمرة في كل جوانبه ، وتحديد املوقفه هو من هذا الواقع ، ومن الفن ، ومن الانسان المغربي . بل انه غدا اكثر وضوحا في ابراز دوره واعلانه دون مواربة . فقد عرف طريقه ، واصبح عليه ان يعرف الاخرين مثل الذي عرف . وان يوسع من افاق الرؤية امامهم ، وان يحدد لهم معالم مستقبلهم ، والوسيلة الى تحقيق هذا الغد .

ويصرح محمد بنيس بان الثقافة المغربية المعاصرة ، فكرا وابداعا ، تعيش في ازمة ، خلفتها هي نفسها كنتيجة طبيعية لانفصالها عن الواقع . فهي لا تنطلق منه ، ولا تتفاعل معه . ومن ثم غدت ثقافة شقية بوعيها الزائف ، تدور حول نفسها وتجتر انهماجيتها وشقاوتها ، مما دفعها الى ان تقف ضد سير التاريخ واندفاعه التتالي نحو تحرره المشرق . ( وكل عمل لا يحبل بالمستقبل يبقى مقطوع الاطراف ، يعيش الوهم ولا يتجاوز ، يتواطأ ولا يغير ، يتذكر ولا يحلم ) (1) اذ المطلوب من الثقافة في المغرب المعاصر ان تعمل جاهدة على تفسير الانسان المغربي وخلق من جديد ليدخل حدود انسانيته القتالة .

ومن خلال ربطه الماضي بالحاضر ، نراه يستشرق للمستقبل . ويدرسته الواقع المعاصر ، يبين القوى صاحبة الصلحة في التغيير ، وتلك التي تسمى الى ان تعود بالاجتماع الى الوراثة . وكتناج لادراكه الظواهر ككل متكامل ونظرة اليها في شمولية لا تقبل التجزئة ، جاء وعيه بالدور الذي ينبغي ان يلعبه الشعراء والفنانون ، وكذا موقفه من الادب والفكر والفن السابق ، وكان انكاره لما ابدعه هو . ونحن نتنبأ له مستقبلا فنيا لا بأس به ، ان سار على نفس الدرب الذي اختاره هو ، وان جهد من اجل تطوير فنه ، وتثقيف نفسه ، والمشاركة الايجابية الفعالة مع بقية القوى المناضلة في مجتمعه . وفيما يبدو انه قد اخار جانب الانحياز للقوى الجديدة الثائرة ، التي تستهدف التغيير الجذري الشامل .

قد يدل على هذا من بعض الوجوه ، قصيدة ( معلقات الرقص والفتح ) التي يهديها : « الى الصديق عبداللطيف اللعبي » ، وهي مؤرخة 12-1971 . وكان اللعبي في السجن آنذاك . وذلك هو قدر الانسان الذي جعل الكلمة النقية الشريفة هدفه في الحياة . انه قدر محدد منذ البداية : فاما السجن واما الموت . واذا كان من الثوار ، فانه يسعى الى ذلك بنفسه ، لانه لا يتوانى لحظة عن ان يجعل الثورة الدموية في كل مكان : على الجدران ، وفي محاكم التفتيش ، وفي شرف المنازل ، وفي كل صقع وركن وزاوية وشق . ويبدو لي ان شاعرنا متأثر الى حد كبير بمبداللطيف اللعبي ، مناصلا وتأثرا وفنانا . وتبلغ قصيدته هذه ستة عشر مقطعا مطولا ، لم تتبلور فيها التجربة الشعرية بعد . ويلاحظ انه قد تسربت اليها ملامح نزارية وبياتية وسيايية . وان حظيت بالوضوح والبساطة والسهولة .

(1) ديوان « شيء عن الاضطهاد والعرح » - مطبعة النهضة - فاس 1972 - ص 129 .

(2) نفس الديوان ص 123 .

(1) في مقدمته للمعد الاول من مجلة « الثقافة الجديدة » - خريف 1972 .

هل تعلم انا نرفض . بيعتك الاولى  
ونبارك بيعتنا  
للقدام من قلب الشارع  
نرفض  
نرفض  
نرفض « (1)

المفروض : سياسيا واجتماعيا واقتصاديا وفكريا ، مفروض .  
والشاعر لا يخشى الافصاح عن رفضه . كما لا يخاف من اعلان  
بيئته الحقيقية لذلك المناضل المنتظر ، الذي يفرزه الشارع المغربي ،  
وتصوغه الجماهير ، وتلد اذقة وحواري المشاكل اليومية . لقد تعلم  
الشاعر من الكادحين ومن القوى الشعبية الفاعلة . ومن نسيم  
فان ايمانه بهم لا يقف عند حد . فهم انبياء المستقبل . والرواة  
الصادقون . والاصدقاء المخلصون . وهؤلاء لم يابصوا احدا بعد .  
لم يختاروا الحاكم المترعب على العرش ، فوق السيف وفوق الاوراق  
الصفراء . والشاعر من بداية البداية يحو كل - الذي حفظه من  
الاخبار الكاذبة في موسم الطفولة وموسم الكهولة . انه لا يجسب ان  
يروى فقط الا عن احبائه الفقراء . وفيما يبدو ، فان حبه هنا ليس  
حبا رومانسيا ، ولكنه حب مصحوب بالتمقل والتدبر والتخطيط للثورة  
حب انتبته وحدة التناقضات ووحدة المعاناة ووحدة الاحساس بمرارة  
الواقع المنعس . وللحب هنا هدف محدد هو ضرورة القضاء دمويا  
على الاسباب والمتسبين في سرقة حب المحرومين ، وفي بيع الفرحة  
لازمان وازمان .

ولما كان الشاعر يؤمن بان التغيير الجذري من اجل المحرومين  
لا يكون الا بالثورة الشاملة ، فانه في شعره اتخذ موقفا جادا وحادا  
من السلطة ، لانها هي التي اودت بالمجتمع الى ما هو فيه ودفعت به  
الى الهاوية . هي صاحبة الفضل الاعظم في خلق الطبقة ، وفي تركيز  
الثروة التجارية والزراعية والمالية في ايدي قلة تخدمها ، وفي اخلاء  
السبيل امام القواعد الاجنبية ، وفي اتاحة كل الفرص لرأس المال  
الاجنبي ، وفي صنع التخلف المادي والتدهور الفكري والاضمحلال  
الثقافي ، وفي شق الحريات ، وخنق الاصوات ، ومصادرة الاحلام  
الشبابية .

وفي نهاية هذه القصيدة الطويلة ، تتجسد قمة المواجهة بين  
الشاعر الشاب ، صاحب الكلمة الفوارة ، وبين السلطة العقيمة  
استاذة القمع والاضطهاد . وهي قضية الكاتب الجديد في العالم  
التخلف ، حيث لا يواجه مشكلة الكاتب والسلطة التي هي من  
اللاحم التاريخية في حياة الانسان ، وانما يواجه معها مشكلة كونه  
شابا يعاني مرحلة التفجر العنيف . ومحمد بنيس لا ياسف اذا القيت  
جثته على الطريق ، مرفوعة ، عارية ، يمزقها الرصاص ، لانه مستعد  
لذلك مناهب للخطة ، مادام قد اختار طريقه وسط الجموع ، ولانه  
رفض ان يكون صوته المتميز الخلاق بوقا للحاكم ، مصفقا مطبلا  
مهلا مكبرا . عندئذ ايضا تنخذ السلطة وسائل غير انسانية لكتسب  
الاصوات الجديدة . بسطها اعمال التجسس ، ومنعهم حتى مسن  
التنفس والحركة لطبيعة المشروعة .

عزيزتي  
تمننا السلطة هذه الايام  
من الصراخ والغضب

انهم يؤمنون بالمستقبل . يرفضون كل المواصفات القائمة . يريدون ان  
يخلقوا ويبدعوا من الثورة اغنية نضالية ، وممارسة حقيقية فعلية ،  
للنساء والاطفال والرجال والشيوخ والشباب قبلهم . ان يلموهها  
الفلاحين والعمال والعبيد والنجباء والنساء والمحرومين والاشقياء ،  
لانها مخلصهم الاوحد من السادة لحاكمين والمالكين والمستبدين .

ومع الالتحام الكلي بالجموع المطحونة ، ومع الالتزام بقضاياها ،  
والارتباط بقادتها ، يصيح على الانسان ان يحمل في يده كفته ، ما  
دام قد ارتضى السير مع الذبسن يعبرون سلما من الورد  
والاشواك ، يمشون امام الليل عراة ، وامام الصبح حفاة . يمشون  
في صمت ، ماخوذين بفد الانسان وخاتمة القهر . يمشون من نهر  
الموتى حتى انهار الاحياء ، يعلمون الناس الجهر الممنوع ، وجنون  
الرفض ، ليجعلوا من السجون والاعدام محطة ينسف نصف عمرها  
مع العبور ، ونصفه مع الوصول ، وليربطوا بين المعلوم وبين  
المجهول . كل منهم يرتضى لنفسه ان يخرج من بيته القديم مع الصفار  
الفقراء ، يصحبهم الى الحقول او العامل او الشوارع ، يشق بهم قبر  
المجهول ، وينفض كفته ، ثم يعود !

ولنا ان نتوقع سيطرة الدعوة الى « الرفض » على شعر  
شاعرنا الشاب . فحين تجتمع الكلمة الثائرة والشباب الهادر في  
مزيج واحد مركب علينا ان نتنظر حدة الصدام والرفض التام لكل  
شيء تعلمه من اهله واقاربه ، او تلقته من المدرسة والاذاعة  
والجامعة والصحافة . وهو رفض مستند الى اساس موضوعي ، والى  
دراسة الواقع ، مما جعله يؤمن بالرفض وسيلة اولى من اجل  
التغيير . وايمانه به يدفعه الى ان يحض الاخرين عليه . والى ان  
يصرخ فيهم باستمرار كي ينتبهوا الى المؤامرات التي تحاك باسمهم ،  
والحفلات التي تقام على اشلائهم ، والذئاب التي تنهش عظامهم ،  
والوسائل الدنيئة التي تمتص بها دماؤهم وعرفهم .

نرفض  
يا مقتسم الحفلات  
في حضرنا  
في غيبتنا  
ان تسرق منا حب المحرومين  
علم التغيير  
نرفض  
من باع زمانا فرحتنا  
اهدانا لعبة اطفال  
ومضى  
يتربع فوق السيف وفوق الاوراق الصفراء  
ويحاكم حلم المرتدين  
نرفض  
هذا زمن الرفض المنشور  
في مزبلة الموتى  
هذا صحو المدموم  
خلف الخطب الجوفاء  
نرفض  
ان تولد باسم الكادح  
غرف الاسرار  
وصكوك التوبة والفقران  
في فانحة الانوار  
نرفض

(1) ديوان : « شيء عن الاضطهاد والمرح » - ص 139 .

الوطن ، ويتتهي الى ان هذه الوسائل لن تمنع الشاعر من الكتابة ،  
ولا المؤمن من الصلاة ، ولا الفلاح عن ارضه ، ولا العامل عن منجمه ،  
ولا البسمة عن الشفاء ، ولا حب النضال عند الثائرين المناضلين :

الحب في اصابعي  
والشعب في قصائدي  
والجوع فينا سنة  
فلتقفوا  
اذا اردتم الوقوف  
ولترهقوا انفسكم  
اذا اردتم الارهاق  
نخبركم  
باننا نفتح السقف ونطير  
فلتقفوا  
حتى مرور فترة الحراسة  
معدرة  
سوف اجدد نيابي واطير  
مع جموع الطائرين

مهما فعلت السلطة والشرطة ، ومهما تفنن رجال الدرك  
والبوليس ، ومهما ضيق القصر على الناس الخناق ، فانهم سوف  
يجدون لهم مخرجا ، باختراق السدود ، وتحطيم الحصون ، وفتح  
الاسقف العالية المرتفعة ، من اجل الانطلاقة الجماعية ، والحرية  
الجماعية ، والعمل الجماعي ، والعدل للجماعة ، والمساواة بين افراد  
الاجتمع كله . ومحمد بنيس الشاعر الطائر مع جموع الطائرين ،  
الرافض مع كل البائسين المحرومين ، الثائر مع كثير من الثائرين ،  
متفائل غاية التفاؤل بما سوف تحققه الجماهير . لقد خلع ارديته

القديمة ، وجدد ثيابه ، وبيض عن نفسه وعن شعره غبار الماضي . انه  
الان في مرحلة « الكلام » الفعال ، المؤثر ، الواعي ، اللفظي . وكانما  
كان يرجي كلامه الفعلي الحقيقي الى ما بعد . انه في « ما  
قبل الكلام » غيره في « شيء عن الاضطهاد والفرح » وفي « وجه  
متوهج عبر امتداد الزمن » . هناك قبل اكتمال التجربة ، ونضج

الادراك ، والتعمق الاجتماعي ، والالتحام الموضوعي والمباشر بالواقع  
الخارجي . كان شاعرا ذاتيا وجدانيا حينا ، رمزيا تجريديا حينا ،  
معبرا فقط عن احساسه وخلجات نفسه في كل الاحيان ، كما كانت

فاس تحتل من قلبه وشعره ارفع مكان . لكنه مع ذلك كان يؤمن بالحرف  
وبالانسان . وكان يرجو لنفسه ان يمشي فوق التراب ، بيده اليمنى  
الحرف ، ويسراه شجر الانسان . ومع نمو وعي الجماهير ، وحدة  
التناقضات الطبقيّة وخطورتها ، وبتريدي الحكم في كثير جدا من  
المساوي ، بدأ « الكلام » الصارخ ، وخرج الحرف السافر ، واخذت  
مخارج الكلمات والحروف تنضح ، وطقق الصوت يمشي فعلا فوق  
التراب لا في السحاب او في الفيوم .

واذا كنا قد رأيناه يحدد المنبع الذي ينبثق منه القيادة ، والزعامة  
فانا نلاحظ انه في ديوانه الثالث « وجه متوهج عبر امتداد الزمن »  
١٩٧٤ لا يطلق السمات هكذا ، ولا يهمن في العمومية ، وإنما يختار  
بالفعل نموذجا للزعيم او للمخلص ، الذي يضمن ان الجماهير سوف  
تلتف حوله ، وتلتقي على حبه ، وتنفذ اوامره ، بوعي وارتباط  
اصيلين . وكان لزاما ان يأتي هذا الثائر من ارض المغربية ، وان  
ينبع من صفوف الجماهير الشعبية ، وان يكون له في وجدانهم  
الجمعي مكان طيب . يكون هو الشعب ، والشعب هو . وقد انتهى  
الشاعر الى ان ملامح النضال ، والثورة ، والزعامة ، لا تكمن في  
شخص يمثل ما تتجسد كلها لدى عبدالكريم الخطابي . الوطن

ومن اعلان الاحتجاج

تربسنا مقررين

ومخمرين

او قائلين مجرمين

لاننا عزيزي

نقذف من صرختنا

احتجاجنا

معالم التفجير

تنفذ من وجه لوجه

ومن لسان لسان

لاننا نرهبهم

بحبنا وحلمنا

نرسم في حضرتهم

بقطع الفم والجير

مدينة النهاية (١)

واحساسا من شاعرنا الشاب بوجود « الآخر » في الحياة  
المغربية وبخاصة بعد احداث الصخيرات ، ثم اضطرابات وفلاقل  
فبراير ومارس ١٩٧٢ ، كتب قصيدته « الى الواقفين وراء الباب » في  
١٥-٧-١٩٧٢ ونشرتها له صحيفة « لعلم الثقافي » في ٤-٨-١٩٧٢  
وهي قصيدة لا يمكن ان يغفل قراءتها اي متصفح للصحف  
اليومية والاسبوعية في مغرب ١٩٧٢ ، الذي كان يمور ويفور باحداث  
متتابعة . وقد كتب محمد بنيس قصيدته هذه بعد ان تبلورت باحداث  
للحياة المغربية بصفة عامة ، وبعد ان آثر ان يكون واحدا في الكل ،  
موجة في التيار ، نقطة صغيرة في بحر هادر ! وبنفس البساطة  
التي لمسناها في قصيدته السابقة ، تتسم هذه القصيدة . وهي  
في الحقيقة - وان عبرت عن احساس صادق وواقع كائن وموجود : -  
متأثرة بقصيدة نزار قباني « هوامش على دفتر النكسة » ، وبالذات في  
المقطع الذي يتناول فيه وسائل السلطان في حرمان الناس حرياتهم  
الشخصية ، ومراقبتهم ، وتتبعهم لحظة بلحظة ، ومعرفة اخبارهم  
بطرق التجسس والمطاردة . واذا كان نزار قباني قد صور ذلك ضمن  
قصيدة ، فان محمد بنيس يصوره في قصيدة طويلة كاملة . ولا يمنع  
ان يكون مثل هذا التأثر والتأثير ، خاصة وان الشاعرين يتعرضان  
لظاهرة متفشية في العالم المتخلف ، وهي في المغرب اشد قسوة  
وتطرفا . فكان لزاما على الشعراء الشباب ان يسجلوا احساسهم  
نحوها ، على اعتبار انهم اول من يتعرض لذلك قبل الناس العاديين .

ويصور لنا الشاعر موقفه من حراس السلطة وغيور الحاكم ،  
وببساطة ووضوح يتتبعهم ويذبح اسرارهم على عامة الشعب . كيف  
يقفون وراء ابواب الساعات ، او خلف مفارق الطرق بالسيارة ، او  
في الازقة المعتادة يلقون في وجهه كمائن الفزع ، ثم يختفون  
واحدا فواحدا بعد مرور فترة الحراسة . وعندما يزوره صديق ،  
ياتون اليه جملة ، ليضعوا له اقفاسا يعيونهم . عرفوا عنه كل شيء ،  
ملايسه ، وقامته ، وزوجته ، وهوايته ، وسيجارته ، وكتبه المفضلة ،  
واسماء الزوار الاصدقاء والاعضاء ، حجم نوافذ المنزل ، واللوان  
الستائر ، وطول الباب ، الاذهن المليء بالاسرار والقصائد . ويجمع  
الشاعر بعض الصور الصغيرة التي تحدث يوميا لكل المطاردين في

(١) الديوان السابق - ص ١٤٨

المقاومة والنضال ايا كانت وسائلهم ومهما بلغت بهم النتائج التسي  
توصلوا اليها فيما بعد . وهو على عكس التيارات الجديدة التي  
ترفض كلية ما سبقها منذرة بدعاوى واسباب تبدو من وجهة نظرها  
منطقية . الامر عند محمد بنيس مختلف . فهو يحترم الراضين على  
وجه الارض ، لانهم جميعا ينطلقون من منطلق واحد ويستهدفون غاية  
مشتركة ، وان تباينت درجات النجاح والتوفيق ، بتباين الظروف  
والملاسات والعوامل الخارجية والموضوعية المحيطة :

ابناء الارض  
يمشون على اعقاب الارض  
هذا حلم في الكف  
وحروف تنمو في احداق العين  
وتروود مدار الوصل

يرى الشاعر في الراضين محاولات مستمرة لتفتيت الجمود  
والرتابة ، ولإحياء ملامح ذلك الوجه المتوهج ابدا : وجه عبدالكريم  
الخطابي . وإيمانه بالحركة والضرورة والاستمرار يفضي به دائما  
الى رفض كل عوامل الثبات ، وتأييد ما من شأنه ان يدفع الى امام  
او يكسر حدة التوقف والتحجر . ومن ثم نراه متمردا على ما لسوف  
الحياة اليومية العادية في شتى صورها واشكالها ، في محاولة  
لتحطيم الضوء العالقة بالزمن الماضي - الحاضر ، لتجاوزها الى الزمن  
القادما بما ينبيء به . واحيانا ما نجده يتخذ « الساعة » بوجودها  
المادي ودقاتها الرتيبة المعتادة وعقاربها الدوارة ، رمزا ، يذكر  
بواقع ، ويرهص بزمن آت ، وكشكل من اشكال عدم الاعتراف والتسليم  
يشعر ازاءها بنوع غريب من الاحساس . اذ يشعر برغبة هارمة في  
تحطيمها ، لادراكه القوي بانها تدفع الى الاعتراف بالحاضر الذي  
سوف يصيح هو الاخر ماضيا . وهو - في داخله - يستهدف تطبيق  
ايام زمان واناس زمان ، اولئك الذين باعوا عهد الله وعهد الناس .  
تلك الايام كانت اوهاما ، او جيفا تتورم فوق النخل ، حين تمت  
اللعبة بين العاشق والمعشوق .

اكسر ساعتني  
وادور في حزني وفي فرحي  
اطوف مشاهد الاطفال ترفعتني  
عيون الرفض نحو مساحة الموتى  
وعند لوائح الاحياء  
اكسر ساعتني  
فتعود تحرقني عناوين  
تذكرني بقامة انبياء

لكن رفض الشاعر للماضي والحاضر الذي هو نتيجة له ، لا  
يخدره ، ولا يجعله يستكين للذة الرفض في ذاتها ، اذ سرعان ما  
تكشف له تلك الجوانب المضيئة - ان في الماضي او في الحاضر  
المقاوم - التي تشكل ملامح الصحو واليقظة : تسرها اخبارها ، تنمو  
اصداؤها في شجر الزيتون ، تسطح انوارها من حب القمح ومن  
اعراس المنجل ، تأتي من قلب الشرق - الغرب ، من ايسام الريف ،  
ايام عبدالكريم الخطابي ، البطل - الرمز ، الذي لا يذكر اسمه الا  
وتذكر ثورة الريف للشعب المغربي . كذلك فانه لا تكاد ثورة الشعب  
المغربي تذكر الا ويذكر اسم البطل عبدالكريم الخطابي قائد ثورة  
الريف العظيمة ، وما قامت ثورة بعده الا وتمثلته ، وما كان زعيم  
بعده الا وحفظ دروس نضاله . ولهذا وقفت السلطة في وجه كل من  
يتحدث عند او يشير اليه او ينادي به . لانها تريد ان تستبقي

المحوم . المناضل الثائر . المثال الذي ينبغي ان يحتذى . هو الذي  
ترسب في خلد كل طفل من اطفال المغرب . وهو الذي هرع اليه  
الفلاحون في الريف المغربي ليقود نضالهم . لا احد ينكر دوره  
وبطوليته ، ولا احد يجهله : الاطفال في مدن القصدير . عمال المناجم .  
مطوبو حرب التحرير . الشهداء وابناء الشهداء .

لم يبق لنا في العالم الا انت  
لم يبق لنا في الشارع الا انت  
فلتخجل اصوات الجبناء  
وليدرك كل مقامر  
ان الساحة  
اكبر من كف واحد  
وليدخل من شاء الراحة  
وسكون الببال  
ابراج التامين العام  
حتى يأتي دوره  
فالجنة في ارض حمراء  
والراحة في عين عرجاء  
والنار  
لا توجد فيها قاعات الشاي  
او حافلة التنظيم  
ضد السكونين الاحياء  
بأمير الريف

الكل مسكون بامر الريف « عبدالكريم الخطابي » ، فانه الوجه  
المتوهج دائما نارا ونورا ، ثورة وتقدما ، فعلا وايجابا ، عبر امتداد  
الزمن . وجه المقاومة الشعبية ، وصورة النضال الحر ضد كل القوى  
المستبدة . وبشوة مماثلة ، ولتكن اكثر تقدمية واستشرقا لبناء غد  
جميل ، يمكن القضاء على عوامل التخلف والقهر والاستبداد والظلم .  
وتمد اعداد غفيرة تنتظر قدومه ، لتعاقب مبادئه وتؤمن به . تتمثل هذه  
الجموع في : كل من جاع في السر والعلن . او وشم الجبناء رصاصا .  
او خاض حرب الخروج عن الصمت والصمد . او حمل النار في كفه  
وعاد اشتياقا الى المشتقة . او حط في يده الصحو والفرح . او من  
كان غده على كفتيه ، وفي صدره حمام وحلم واروقة مشرقة . او من  
تعلم كيف يشق القميص ويجعله لافتة . او كان واحدا ممن حضروا  
طقوس الخيانة فاشتعلوا وعادوا ليحترقوا . او من كان يرتد كل صباح  
فيصرخ قبل المساء وحيدا ، ويمنع دفنه في المقبرة . المذبذبة من اجل  
قضية وطنه . الذي يقبل على الموت طائفا بسبب « الجموع » وقضية  
« الجماعة » ليلخلصها مما هي فيه . الباحث عن الفرد الحر في اطار  
مجتمع حر . الداعي الى اليقظة . الباعث حب الكفاح والوطن .

هذه هي العناصر القيادية التي تتزعم القاعدة العريضة من  
العاطلين والمشردين والفلاحين والعمال وابناء الطبقة المتوسطة  
الصغيرة ، وحتى الذين اضطرتهم ظروف مجتمعهم الى الهجرة بعيدا عن  
الادامن واللاعمل واللاعدل واللامتساوية ! والشاعر يصور لنا حركة  
مجتمعه في امتدادها وتواصلها . رابطا الماضي بالحاضر بالمستقبل  
مجسدا القوى المتصارعة في كل مرحلة . وهو وان ادان كل الذين  
لم يؤمنوا بالثورة وبحركة الجماهير ، ولئن كان قد فضح لا اخلاقيات  
والاعيب المخادعين الذين فتحو ابواب الهزيمة الاجتماعية والحضارية  
والانسانية ، فانه لا يتمرد على سابقه ان كانوا قد التزموا طريق

الاضاع كما هي دونما تغيير أو تبديل ، ومن هنا كان حرصها على ان تنتزع صورته من خيال الناس ، وان تصدر السننهم حتى لا تتفوه باسمه . كل من يتساءل عنه يعدم قهرا او يتعرض للتشريد . تريد السلطة بالعنف ان تسحب الشعب منه ،<sup>1</sup> او ان تسحبه من حذقة عين الشعب ، ليبقى بين الشك والحنان ، مقطوع الرأس ، غربا في غربته . بيد ان كل هذه المحاولات لا تفلح .

نخفي في مطفنا صورا ممنوعة

نرسمها سرا

في الاول نحفر في الحائط

خط العينين

وتجاعيد الجبهة

وتقاسيم الشفتين

ونقوبا بين اللحية والاذنين

فتداهمنا قوات الامن

نتراجع بالاحجار

تتسرب اخبار عن حرب الردة والعصيان

تتسرب اخبار عن ماضي الريف

الوطن المحموم عبدالكريم الخطابي ، ليست بالفعل الا كلمة حب صادقة في عبدالكريم ، لا لشخصه ، ولكن لما يرمز اليه وبدل عليه ، ولأفعاله ومقاومته ومبادئه وارتباطه القوي بشعبه . وهي كذلك دعوة مفتوحة للشعب المغربي كله كي يكون جميعه عبدالكريم في هذه المرحلة الحاسمة من تاريخه . ولعلها صرخة مدمرة موجهة ضد كل من يريد ان يمنح صورة عبدالكريم - الثورة - النضال - الرفض ، او يسحها من الاذهان والعقول والقلوب والافئدة وكتب التاريخ واناجيل الثورة . والشاعر لم يستورد مناظلا من الخارج ، ولم يستلهم اساليب مقاومه من بيئة اخرى ، وانما كان مغربيا في تمثله القائد المخلص ، كما كان مغربيا في تصويره حركة الواقع ، وتعريفه المساوية ، واستلهاه ادوات التغيير ، ولئن كان في ديوانه الثاني صريحا الى ابعد الحدود ، مبتعدا الى حد عن خصائص الفن الشعري ، مفضلا الهدف على الوسيلة والاداة ، فانا نرى انه في ديوانه الثالث سعى الى الجمع بين الحسينيين : الفايضة والوسيلة ، الشكل والمضمون ، وجهد في ان يوصل كلمته ، وبلغ رسالته ، ويقود شعبه ، بالكلمة الشاعرة ، الصادقة ، الموحية ، وهو بالتأكيد في دواوينه القادمة سوف يحقق لفنه الكثير ، لعقيدته الكثير والكثير ، لانه يطالب الانسان العربي في المغرب الاقصى ان يظل كذلك .

لن تصمت بعد الان

ايها الانسان

حذق في وجهك قبل النوم

سترى خيلا من طين الريف

تتفجر في الساحات

في اشجار الواحات

في خارطة العالم

حذق

سترى صوت الجبناء

موصولا بالقطع الساكن بالموت

حذق

سترى عبر التاريخ

رقعا ممنوعة

او ممسوحة

حذق ساعات ان امكن

سترى اسراب الهدنة وهما

حذق

حذق

سترى في وجهك اعراسا

سترى في عينك اسيدا

سترى في كفك امواجا

حذق

فالعالم في كفك

لا يبلى

لا يبلى ... »

عبدالكريم الخطابي باق وسيبقى ، خالدا وسيخلد ، نائر وسيظل نائرا طالما بقيت الاوضاع على ما هي عليه ، وظل المجتمع ينحدر من سيء الى اسوأ ، وسيظل ارتباط الشعب المغربي بزعيمه وقائده باقيا متجددا ، رغم كل الجهود المستميتة لاجلال صور اخرى محله ، او لمحو ذاكرة وتلهية الشعب عنه ، اذ كيف ينسى الشعب قواه الكامنة فيه !! وكيف يمحو صورة مخصصة وقائدة ؟ وكيف ينفصل عن من لم ينفصل عنه ويستند اليه ، ويعتمد عليه !! ان ارتباط الشعب المغربي بعبدالكريم الخطابي ارتباط لازم ووجوب . وقد اشار الى شيء من هذا ( « روبرت فون و » ) في ( عبدالكريم امير الريف ) حيث يقول : ( ... و حاول جندي ريفي في اللحظة الاخيرة ان يلحق بالركب ، لكن الضباط ردوه على اعقابهم ، ونهضت بعض الاشباح من بين الادمغال ، وانطلق اتباع عبدالكريم صوبه ، وراحوا يقبلون ركابه وثيابه ، ويرمون بانفسهم في طريقه ، واستحت عبدالكريم حصانه قدما وعيناه مرفوعتان

الى العالي .. )

سلاما لمن جاءنا

تسلل بين الستائر

وبين السجائر

ليشعلنا

ليخبرنا

بان حبيبتنا - شعبنا عبدالكريم

تظاهر أمس

توهج عبر الشوارع

وحطم أمن الحواجز

سلاما

سلاما ... »

وهكذا نرى ان الديوان الثالث لشاعرنا الشاب محمد بنيس عبارة عن قصيدة واحدة ، يسميها هو القصيدة المضادة ، ويهدئها الى